

فضل طلب العلم



جمعه ورتبه – العابدة لله

الفهرس

- تعريف العلم

1- فضل العلم

--- آيات في فضل العلم

--- أحاديث فى فضل العلم

--- قول بعض علماء السلف فى فضل العلم

أ))التعلم

*أفضال تعلم العلوم الشرعية

ب))تعليم العلوم الشرعية

*ثواب العلماء

2- وجوب العمل بالعلم

3- إخلاص طالب العلم

--- حقيقة الإخلاص

--- لماذا نتعلم ؟لماذا نتفقه؟لماذا نطلب العلم؟

--- كيف يصحح طالب العلم نيته

--- كيف تدخل هذه الأمراض إلي القلب؟

--- كيف أخلص؟

--- معوقات الإخلاص وعلاجها

1) الطمع

2) حب المدح

3) الرياء

4) العجب

5) احتقار الآخرين واستصغارهم وازدرائهم

6)الكبر

=====عواقب الكبر

=====أسباب الكبر

=====صفات المتكبر

=====الدواء والعلاج

=====خاتمة

4- نوايا طالب العلم

5- كيفية طلب العلم

طالب العلم

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره و نستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصيهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا.

ثم أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أن للعلم مقام عظيم في شريعتنا الغراء ، فأهل العلم هم ورثة الأنبياء ، وفضل العالم على العابد كما بين السماء والأرض .

فعن قيس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو بدمشق فقال ما أقدمك يا أخي ؟ فقال : حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : أما جئت لحاجة ؟! قال : لا .

قال : أما قدمت لتجارة ؟! قال : لا .

قال : ما جئت إلا في طلب هذا الحديث .

قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر "[أخرجه الترمذي (2682)] .

والعلماء هم أمناء الله على خلقه ، وهذا شرف للعلماء عظيم ، ومحل لهم في الدين خطير ؛ لحفظهم الشريعة من تحريف المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والرجوع في أمر الدين عليهم ، فقد أوجب الحق سبحانه سؤالهم عند الجهل ، فقال تعالى : ((فاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)) [النحل: 43]

وهم أطباء الناس على الحقيقة ، إذ مرض القلوب أكثر من الأبدان ، فالجهل داء ، والعلم شفاء هذه الأدواء ، وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فإنما شفاء العي السؤال) [أخرجه أبو داود (336)] .

▲ تعريف العلم

لغـــــة : نقيض الجهل، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا حازمًا.

اصطلاحًا : فقد قال بعض أهل العلم: هو المعرفة وهو ضد الجهل، وقال آخرون من أهل العلم: إن العلم أوضح من أن يعرف.

والذي يعنينا هو العلم الشرعي، والمراد به: (علم ما أنزل الله على رسوله من البيانات والهدى)، فالعلم الذي فيه الثناء والمدح به خيرًا يفقهه في الدين) [البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا ، ومسلم كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة.].

وقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) [أبو داود، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، والترمذي، كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة.].

ومن المعلوم أن الذي ورثه الأنبياء إنما هو علم شريعة الله ــ عز وجل ــ وليس غيره، فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام ــ ما ورثوا للناس علم الصناعات وما يتعلق بها، بل إن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين قدم المدينة وجد الناس يؤبرون النخل – أي يلقحونها – قال لهم لما رأى من تعبهم كلامًا يعني أنه لا حاجة إلى هذا ففعلوا، وتركوا التلقيح، ولكن النخل فسد، ثم قال لهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ: (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) [أخرجه مسلم من كتاب **الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعًا دون ما ذكره ــ صلى الله عليه وسلم ــ من معايش الدنيا على سبيل الرأي]**.

ولو كان هذا هو العلم الذي عليه الثناء لكان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعلم الناس به، لأن أكثر من يثني عليه بالعلم والعمل هو النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ . إذن فالعلم الشرعي هو الذي يكون فيه الثناء ويكون الحمد لفاعله، ولكني مع ذلك لا أنكر أن يكون للعلوم الأخرى فائدة، ولكنها فائدة ذات حدين: إن أعانت على طاعة الله وعلى نصر دين الله وانتفع بها عباد الله، فيكون ذلك خيرًا ومصلحة، وقد يكون تعلمها واجبًا في بعض الأحيان إذا كان ذلك داخلًا في قوله تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}** [الأنفال:60].

وقد ذكر كثير من أهل العلم أن تعلم الصناعات فرض كفاية، وذلك لأن الناس لابد لهم من أن يطبخون بها، ويشربون بها، وغير ذلك من الأمور التي ينتفعون بها، فإذا لم يوجد من يقوم بهذه المصانع صار تعلمها فرض كفاية. وذا محل جدل بين أهل العلم، الشرعي الذي هو فقه كتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما عدا ذلك فإما أن يكون وسيلة إلى خير أو وسيلة إلى شر، فيكون حكمه بحسب ما يكون وسيلة إليه.

أولًا ــ فضل العلم

لا يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل; لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم.،وهذا أبلغ في فضله; لأن فضله لا يعلم إلا به. فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون إلى فضل العلم جهلوا فضله, واسترذلوا أهله, وتوهموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المقتناة, والطرف المشتهاة, أولى أن يكون إقبالهم عليها, وأحرى أن يكون اشتغالهم بها.

ولقد ذكر فى كتابنا العزيز العديد والعديد من الآيات التي تناولت فضل العلم:

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير .))المجادلة11

وقوله عز وجل((لَّـكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً))النساء162

وقوله عز وجل((وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ))فاطر28

وقوله((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))المجادلة11

وقال عز وجل((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ))الزمر9

وقوله((قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً))الإسراء107

وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ(({فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً))طه114

الشرح

*قوله: (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) قيل في تفسيرها: يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم.

ورفعة الدرجات تدل على الفضل، اذ المراد به كثرة الثواب، وبها ترتفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدنيا بعلو المنزلة وحسن الصيت، والحسية في الاخرة بعلو المنزلة في الجنة.

وفي صحيح مسلم عن نافع بن عبد الحارث الخزاعي – وكان عامل عمر على مكة – انه لقيه بعسفان فقال له: من استخلفت؟ فقال: استخلفت ابن ابزى مولى لنا.

فقال عمر: استخلفت مولى؟ قال: انه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض.

فقال عمر: اما ان نبيكم قد قال " إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين".

***(إنما يخشى الله من عباده العلماء) تثبت ان الله عز وجل يرفع قيمة العلماء الحق؛وهم من يعملون بما يعلمون.**

***وقوله (لكن الراسخون) الثابتون (في العلم منهم يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) من الكتب (والمقيمين الصلاة) نصب على المدح وقرئ بالرفع (والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم) بالنون والياء (أجرا عظيما) هو الجنة،وهذا جزاء العالم بأمور دينه والعامل بها.**

***(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أي لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل (إنما يتذكر) يتعظ (أولوا الألباب) أصحاب العقول**

*** (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالطاعة في ذلك ويرفع (والذين أوتوا العلم درجات) في الجنة وهذا جزاء العلم.**

*** (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا) وهذا يدل على ان العالم بأمور دينه يعبدون الله كما يجب .**

*(وقوله عز وجل: رب زدني علما) واضح الدلالة في فضل العلم، لان الله تعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب الازدياد من شيء الا من العلم، والمراد العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمور عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائض، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه.

والأحاديث في فضل العلم كثيرة جداً، ونذكرمنها:

صحيح مسلم حديث أبي هريرة رفعه " من التمس طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلي الجنة".

قال صلي الله عليه وسلم " من غدا إلي مسجد ليتعلم علماً أو يعلم علما فله أجر حاج ، تامة حجته"

قوله صلى الله عليه وسلم " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "

قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا , فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء , فأنبتت الكلأ والعشب الكثير , وكان منها أجادب أمسكت الماء , فنفع الله بها الناس , فشربوا منها وسقوا ورعوا , وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء , ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني الله به فعلم وعلم , ومثل من لم يرفع بذلك رأسا , ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره))

قال رسول الله:((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))

وقال((ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم))

وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة))

وكذلك من أقوال بعض السلف والأدباء:

وقال بعض الحكماء: العلم شرف لا قدر له, والأدب مال لا خوف عليه.

وقال بعض الأدباء: العلم أفضل خلف, والعمل به أكمل شرف.

وقال بعض البلغاء: تعلم العلم فإنه يقومك ويسددك صغيرا, ويقدمك ويسودك كبيرا, ويصلح زيفك وفاسدك, ويرغم عدوك وحاسدك, ويقوم عوجك وميلك, ويصحح همتك, وأملك.

ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى: تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا, ولا يسقم نفسا. فأخرج له طعاما ونفقة. فقال: فاقتي إلى كلامكم, أشد من فاقتي إلى طعامكم, إني طالب هدى لا سائل ندى. فأذن له العالم, وأفاده من كل ما سأل عنه فخرج جذلا فرحا, وهو يقول: علم أوضح لبسا, خير من مال أغنى نفسا.

وقال بعض العلماء: المتعمق في العلم كالسابح في البحر ليس يرى أرضا, ولا يعرف طولا ولا عرضا.

واعلم أن كل العلوم شريفة, ولكل علم منها فضيلة, والإحاطة بجميعها محال. قيل لبعض الحكماء: من يعرف كل العلوم؟ فقال: كل الناس. وقال بعض العلماء: لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالنقيصة, ولكنا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل ونزداد في كل يوم من العلم.

1-التعلم

إن تعلم العلوم الشرعية فرض على كل مسلم,قال صلي الله عليه وسلم:

((طلب العلم فريضة علي كل مسلم))

ومن أفضال تعلم العلوم الشرعية:

1- رفع بها الجهل:

لأن جهل الإنسان بأمور دينه قد توقعه فى أخطاء كبيرة جدا،وقد تؤدى هذه الأخطاء إلى فقد الشخص ثواب العبادة كاملة،فقد قال صلى الله عليه وسلم:"يصلي الرجل ستون عاماً ولا يقبل الله له صلاة واحدة،قالوا: كيف يارسول الله؟قال:يتم الركوع ولا يتم السجود وإن تم السجود لا يتم الركوع"

وذلك لفقدان ركن واحد من أركان الصلاة وهو الطمأنينة فى الصلاة أفقدت العابد صلاته كلها.

2- تعلم التعامل مع أمور الدنيا كما أمرنا ديننا:

ومن هذه المعاملات اليومية التى يواجهها كل مسلم،كالتجارة والبيع والتعامل مع الناس وتصريف شئونهم.فقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه وسأله:"أأتعلم الفقه أم التجارة؟؟فقال علي رضي الله عنه :الفقه قبل التجارة،لأن الرجل إذا أتجر قبل أن يفقه فانه يقع في الربا".

3 ـــ العلم مهذب للنفوس :

سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله حين بدأ به " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك " [محمد:19] فأمر بالعمل بعد العلم .

وقد بوَّب الإمام البخاري بابًا فقال: " باب العلم قبل القول والعمل" ، لقوله تعالى : " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك " [محمد:19]

فالعلم مقدم على القول والعمل ، فلا عمل دون عمل ، وأول ما ينبغي تعلمه " التوحيد " فيعرف الله تعالى ويصحح عقيدته ، ثم يعرف نفسه وكيف يهذبها ويربيها .

4 ـــ العلم نور البصيرة :

إنه نور يبصر به المرء حقائق الأمور ، وليس البصر بصر العين ، ولكن بصر القلوب ، قال تعالى : ((فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)) [الحج:46] ؛ ولذلك جعل الله الناس على قسمين : إمَّا عالم أو أعمى فقال الله تعالى : ((أ فمن يعلم أنَّما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى)) [الرعد:19] .

5 ـــ العلم يورث الخشية من الله تعالى :

قال الله تعالى : " إنَّما يخشى الله من عباده العلماء " [فاطر : 28]

وقال تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا "[الإسراء:107-109].

6 ـــ طلب الاستزادة من العلم :

وقد أمرنا الله تعالى بالاستزادة من العلم وكفى بها من منقبة عظيمة للعلم ، فقال الله تعالى : " وقل رب زدني علمًا " [طه: 114] ، قال القرطبي : فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم.

7 ـــ العلم أفضل الجهاد :

إذ من الجهاد ، الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء ، وهو أعظم منفعة من الجهاد باليد واللسان ، لشدته ، وكثرة العدو فيه . قال تعالى : " ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا " [الفرقان : 51-52] .

يقول ابن القيم : " فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين ، وهو جهاد المنافقين أيضًا ، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ، ومع هذا فقد قال تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " ومعلوم أنَّ جهاد المنافقين بالحجة والقرآن .

والمقصود أنَّ سبيل الله هي الجهاد وطلب العلم ، ودعوة الخلق به إلى الله "[انظر كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم : ج 1 ص 70] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)) [أخرجه ابن ماجه (227) بسند صحيح] .

8 ـــ التنافس في بذل العلم :

ولم يجعل الله التحاسد إلا في أمرين : بذل المال ، وبذل العلم ، وهذا لشرف الصنيعين ، وحث النَّاس على التنافس في وجوه الخير . عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((**لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها))[متفق عليه].**

9 ـــ العلم و الفقه في الدين أعظم منة :

ومن رزق فقهًا في الدين فذاك الموفق على الحقيقة ، فالفقه في الدين من أعظم المنن .

عن ابن عباس أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)) [أخرجه الترمذي (2645) وقال : حسن صحيح].

((وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ))القصص80

ولأن الذين أوتوا العلم هم أفضل العابدين والعاملين بعلمهم فيعرفون ثواب الدنيا والآخرة ونيل الجنة.

11 ـــ العلم مقدم على العبادة :

والعلم مقدم على العبادة ، فإنَّ فضلا في علم خير من فضل في عبادة ، ومن سار في درب العلم سهل عليه طريق الجنة.

عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إنَّ الله أوحى إليَّ : أنه من سلك مسلكا في طلب العلم سهلت له طريق الجنة ومن سلبت كريمتيه أثبته عليهما الجنة و فضل في علم خير من فضل في عبادة و ملاك الدين الورع)) [أخرجه البيهقي، بسند صحيح].

12-أمر الله بطاعتهم:

أن أهل العلم هو أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}** [النساء: من الآية59]. فإن ولاة الأمور هنا تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام، والعلماء وطلبة العلم؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها.

2 تعليم العلوم الشرعية:

علي كل من عرف العلم الشرعي أن يبلغه فقال صلى الله عليه وسلم:((بلغوا عني ولو آية))

وقال صلى الله عليه وسلم:((الدال علي الخير كفاعله)) وقال صلي الله عليه وسلم:((نضَرَ الله امرئ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه،فرب حامل فقه إلي من هو أفقه منه،ورب حامل فقه ليس بفقيه)).

***** ثواب العلماء *****

1 ـــ العلماء هم الثقات :

قال الله تعالى : ((شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)) [آل عمران : 18]
.

فأهل العلم هم الثقات العدول الذين استشهد الله بهم على أعظم مشهود ، وهو توحيده جل وعلا .

2- سهل الله له طريقاً إلي الجنة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"(رواه مسلم).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي).

3- فله أجر كأجر الحاج:

قال صلى الله عليه وسلم((من خرج من بيته يطلب علماً أو يعلم علماً،فأجره كأجر الحاج ؛تامة حجته)).

4 ـــ مديح الله تعالى للعلماء :

وقد مدح الله أهل العلم وأثنى عليهم ، فجعل كتابه آيات بينات في صدورهم ، به تنشرح وتفرح وتسعد .قال الله تعالى : ((بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون))[العنكبوت:49] .

5 ـــ العلماء ورثة الأنبياء :

وإن كان إرث دنيا يتهافت عليه الخلائق فما أكرم وأعظم من أرلاث الأنبياء،وهؤلاء الوارثين هم أهل الذكر،الذين أمر الناس بسؤالهم عن عدم العلم قال الله تعالى : ((فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)) [النحل:43] .

6 ـــ رفع درجات أهل العلم والإيمان خاصة :

قال تعالى : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)) [المجادلة :11].

7 ـــ لا ينقطع عمل العالم بموته :

بخلاف غيره ممن يعيش ويموت ، وكأنَّه من سقط المتاع ، أمَّا أهل العلم الربانيون الذين ينتفع بعلمهم من بعدهم فهؤلاء يضاعف لهم في الجزاء والأجر شريطة الإخلاص.

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له))[أخرجه مسلم].

8 ــــ رحمة الله تتنزل على العالم والمتعلم :

وكل ما في الدنيا هالك والمرحوم من ذلك صنفان من النَّاس : أهل العلم وطلبته ، والعابدون الذاكرون الله كثيرًا .

عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم))[أخرجه الترمذي (2322) وقال : حسن غريب]

9 ــــ بالعلم يكثر أجر العامل :

وبالعلم يعظم أجر المؤمن ، ويصحح نيته ، فيحسن عمله ، وإذا كان النَّاس لا يشغفون بالمال عن العلم ، فإنَّ فضل العلم على المال أعظم

فعن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((ثلاثة أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقي فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل . وعبد رزقه الله علما ، ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فأجرهما سواء . وعبد رزقه الله مالا ، ولم يرزقه علما ، فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل .وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما ، فهو يقول : لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته، فوزرهما سواء)) [أخرجه الترمذي (2325): حسن صحيح]

والشاهد هنا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعل العلم الحقيقي هو العلم الذي يبصر المرء بحقائق الأمور ، فصاحب المال إذا لم يتحلَ بالعلم فإنَّه سيسيء التصرف فيه ، فتجده ينفقه على شهوات نفسه ، ولا يعرف شكر هذه النعمة ، ولذلك استحق أن يكون بأخبث المنازل ، والعياذ بالله.وجعل العالم يعرف قدر المال الحقيقي ، فيم ينفق ؟ فبعلمه نوى نية صالحة فصار بأعلى المنازل ، وإن لم ينفق .

10 ــــ الاستغفار للعالم :

ويكفي صاحب العلم فضلاً أنَّ الله يسخر له كل شيء ليستغفر له ويدعو له ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر))[أخرجه أبو يعلى بسند صحيح].

11 ــــ طلبة العلم هم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((سيأتيكم أقوام يطلبون العلم ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم : مرحبًا بوصية رسول الله وأقنوهم ــ علموهم ــ))[أخرجه ابن ماجه (247) بسند حسن] .

12 ــــ إشراقة وجوه العلماء ونضارتها :

وأهل العلم الذين يبلغون الناس شرع الله تعالى هم أنضر الناس وجوهًا ، وأشرفهم مقامًا ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم .

قال صلى الله عليه وسلم : ((نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه)) [أخرجه ابن ماجه (230) بسند صحيح] .

13 ــــ منة الله على أنبيائه بالعلم :

ومن شرف العلم وفضله أنَّ الله امتن على أنبيائه ورسله بما آتاهم من العلم ، دلالة على عظم المنَّة .

فذكر نعمته على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى : ((وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيمًا)) [النساء:113]

وعلى خليله إبراهيم ، قال تعالى : ((إنَّ إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين شاكرًا لأنعمه)) [النحل: 120-121] وعلى نبيه يوسف ((ولما بلغ أشده آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين)) [يوسف : 22] وعلى كليمه موسى : ((ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين)) [القصص:114] وعلى المسيح عيسى بن مريم : ((يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)) [المائدة : 110] وعلى نبي الله لوطا((وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ)) [الأنبياء 74] وأنبياء الله داود وسليمان((فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ)) [الأنبياء79]، ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ)) [النمل15].

14 ـــــ شرف الانتساب إليه :

قال علي بن أبي طالب : ومن شرف العلم وفضله أنَّ كل من نسب إليه فرح بذلك ، وإنْ لم يكن من أهله ، وكل من دفع عنه ونسب إلى الجهل عزَّ عليه ونال ذلك من نفسه ، وإنْ كان جاهلاً .

15 ـــــ العلماء هم أكثر الناس خشية من الله تعالى :

قال الله تعالى : " إنَّما يخشى الله من عباده العلماء " [فاطر:28]

وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا "[الإسراء:107-109]

16 ـــــ العلماء من أفضل المجاهدين :

إذ من الجهاد ، الجهاد بالحجة والبيان ، وهذا جهاد الأئمة من ورثة الأنبياء ، وهو أعظم منفعة من الجهاد باليد، لشدة مؤنته ، وكثرة العدو فيه .

قال تعالى : " ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا كبيرًا " [الفرقان : 51-52]

يقول ابن القيم : " فهذا جهاد لهم بالقرآن ، وهو أكبر الجهادين ، وهو جهاد المنافقين أيضًا ، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين ، بل كانوا معهم في الظاهر ، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم ، ومع هذا فقد قال تعالى : " يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم " ومعلوم أنَّ جهاد المنافقين بالحجة والقرآن . [كتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم : ج 1 ص 70] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره)) [أخرجه ابن ماجه (227) بسند صحيح] .

17 ـــــ شرف العلماء ببذل علمهم (التنافس في بذل العلم) :

ولم يجعل الله التحاسد إلا في أمرين : بذل المال ، وبذل العلم ، وهذا لشرف الصنيعين ، وحث النَّاس على التنافس في وجوه الخير،عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها))[متفق عليه].

18-العالم شاهد على الحق:

أن الإنسان يتوصل به إلى أن يكون من الشهداء على الحق، والدليل قوله تعالى: **{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}** [آل عمران: الآية18]. فهل قال: (أولو المال)؟ لا، بل قال: **{وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}** [آل عمران: الآية 18]. فيكفيك فخرًا يا طالب العلم أن تكون ممن شهد الله أنه لا إله إلا هو مع الملائكة الذين يشهدون بوحدانية الله – عز وجل –

19-يقومون علي أوامر الله حتي تقوم الساعة:

أن أهل العلم هو القائمون على أمر الله تعالى حتى تقوم الساعة، ويستدل لذلك بحديث معاوية - رضى الله عنه - يقول: سمعت النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يقوم: (من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) [البخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيرًا ومسلم، كتاب الزكاة، باب: النهي عن المسألة]. رواه البخاري.

وقد قال الإمام أحمد عن هذه الطائفة: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم).

وقال القاضي عياض - رحمه الله -: (أراد أحمد أهل السنة ومن يعتقد مذهب الحديث).

20-الفصل بين أهل العلم ودون ذلك بعلمهم:

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }يونس93

وقوله (ولقد بوأنا) أنزلنا (بني إسرائيل مبوأ صدق) منزل كرامة وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا) بأن آمن بعض وكفر بعض (حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين

والعلم هو المعيار الذي يفصل بين الصالحين العاملين به وغير ذلك من المنشقين على دين الله وسنة رسوله.

ثانياً-وجوب العمل بالعلم

▲ العمل بالعلم

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة وعبادة، وأخلاقًا وآدابًا ومعاملةً؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما عليه، ولهذا ثبت عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أنه قال: (القرآن حجة لك أو عليك)[أخرجه مسلم، كتاب الوضوء، باب: فضل الوضوء.].

لك إن عملت به، و*عليك* إن لم تعمل به، وكذلك يكون العمل بما صح عن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بتصديق الأخبار وامتثال الأحكام، إذا جاء الخبر من الله ورسوله فصدقه وخذه بالقبول والتسليم ولا تقل: لم؟ وكيف؟ فإن هذا طريقة غير المؤمنين فقد قال الله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا}** [الأحزاب الآية:36].

وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دوماً مايدعوا ويقول:

كما ورد فى صحيح مسلم:" *اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع* ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها". فالعمل بالعلم هو ثمرة العلم ودرته.

والصحابة كان النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يحدثهم بأشياء قد تكون غريبة وبعيدة عن أفهامهم، ولكنهم يتلقون ذلك بالقبول لا يقولون: لم؟ وكيف؟ بخلاف ما عليه المتأخرون من هذه الأمة، نجد الواحد منهم إذا حُدِّث بحديث عن الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وحار عقله فيه نجده يورد على كلام الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الإيرادات

التي تستشف منها أنه يريد الاعتراض لا الاسترشاد، ولهذا يحال بينه وبين التوفيق، حتى يرد هذا الذي جاء عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لأنه لم يتلقه بالقبول والتسليم.

وأضرب لذلك مثلًا ثبت عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) [أخرجه البخاري، كتاب التهجد، باب: الدعاء والصلاة من الليل، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل.].

هذا الحديث حدّث به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو حديث مشهور بل متواتر، ولم يرفع أحد من الصحابة لسانه ليقول: يا رسول الله كيف ينزل؟ وهل يخلو منه العرش أم لا؟ وما أشبه ذلك، لكن نجد بعض الناس يتكلم في مثل هذا ويقول كيف يكون على العرش وهو ينزل إلى السماء الدنيا؟ وما أشبه ذلك من الإيرادات التي يوردونها، ولو أنهم تلقوا هذا الحديث بالقبول وقالوا إن الله – عز وجل – مستو على عرشه والعلو من لوازم ذاته، وينزل كما يشاء ــ سبحانه وتعالى ــ لاندفعت عنهم هذه الشبهة ولم يتحيروا فيما أخبرهم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن ربه.

إذن الواجب علينا أن نتلقى ما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب والتسليم، وأن لا نعارضها بما يكون في أذهاننا من المحسوس والمشاهد؛ لأن الغيب أمر فوق ذلك، والأمثلة على ذلك كثيرة لا أحب أن أطيل بذكرها، إنما موقف المؤمن من مثل هذه الأحاديث هو القبول والتسليم بأن يقول صدق الله ورسوله كما أخبر الله عن ذلك في قوله:{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ} [البقرة الآية: 285] .

فالعقيدة يجب أن تكون مبنية على كتاب الله وسنة رسوله، وأن يعلم الإنسان أنه لا مجال للعقل فيها لا أقول مدخل للعقل فيها، وإنما أقول لا مجال للعقل فيها، إلا لأن ما جاءت به من نصوص في كمال الله شاهدة به العقول، وإن كان أعقل لا يدرك تفاصيل ما يجب لله من كمال لكنه يدرك أن الله قد ثبت له كل صفة الكمال لابد أن يعمل بهذا العلم الذي منّ الله به عليه من ناحية العقيدة.

كذلك من ناحية العبادة، التعبد لله – عز وجل – وكما يعلم كثير منا أن العبادة مبنية على أمرين أساسين:

إحداهما: الإخلاص لله – عز وجل ــ .

والثاني: المتابعة للرسول، فيبني الإنسان عبادته على ما جاء عن الله ورسوله، لا يبتدع في دين الله ما ليس منه لا في أصل العبادة، ولا في وصفها، ولهذا نقول: لا بد في العبادة أن تكون ثابتة بالشرع في هيئتها، وفي مكانها، وفي زمانها، وفي سببها، لابد أن تكون ثابتة بالشرع في هذه الأمور كلها.

ولهذا قال العلماء إن الأصل في العبادات الحظر حتى يقوم دليل على المشروعية واستدلوا على ذلك بقوله:{ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} **[الشورى: الآية21] . وبقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث عائشة – رضي الله عنها -: ((من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد)) [رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.].**

حتى لو كنت مخلصا وتريد الوصول إلى الله، ولكنه على غير الوجه المشروع فإن ذلك مردود عليك، ولو أنك أردت الوصول إلى الله من طريق لم يجعله الله تعالى طريقًا.إذن فواجب طالب العلم أن يكون متعبدًا الله تعالى بما علمه من الشرع لا يزيد ولا ينقص، لا يقول إن هذا الأمر الذي أريد أن أتعبد لله به أمر تسكن إليه نفسي ويطمئن إليه قلبي وينشرح به صدري، لا يقول هكذا حتى لو حصل هذا فليزنها بميزان الشرع فإن شهد الكتاب والسنة لها بالقبول فعلى العين والرأس وإلا فإنه قد يزين له سوء عمله:**{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}** [فاطر: الآية 8] .

كذلك لابد أن يكون عاملا بعمله في الأخلاق والمعاملة، والعلم الشرعي يدعو إلى كل خلق فاضل من الصدق، والوفاء ومحبة الخير للمؤمنين حتى قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب: باب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.] وقال عليه الصلاة والسلام:عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتصل، ومنا من هو في جشره إذا نادى مُنادي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال:)(أنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاْ وأمور تنكرونها وتجيء فتن يدقق بعضًا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه ! فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه .ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يديه وثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع، فإن جاء آخر فاضربوا عنق الآخر)وكثير من الناس عندهم غيرة وحب للخير، ولكن يسيئون للناس بأخلاقهم، نجد عنده شدة وعنف حتى في مقام الدعوة إلى الله – عز وجل، نجده يستعمل العنف والشدة، وهذا خلاف الأخلاق التى أمر بها الله ـ عز وجل ـ.

واعلم أن حسن الخلق هو ما يقرب إلى الله – عز وجل – وأولى الناس برسول الله ـ وأدناهم منه منزلة أحسنهم أخلاقًا كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون) . قالوا يا رسول الله ! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال؟ (المتكبرون) [أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، والإمام أحمد بلفظ (إن من أحبكم أحسنكم خلقًا) جـ 2 ص 189، والبغوي في ((شرح السنة)) جـ 12 ص 366، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) وقال: (رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح).]

أخبرنا أبو عثمان البصري عن عبد العزيز بن مسلم القسملي أخبرنا زيد العمي عن بعض الفقهاء أنه قال : يا صاحب العلم اعمل بعلمك وأعط فضل مالك واحبس الفضل من قولك إلا بشيء من الحديث ينفعك عند ربك يا صاحب العلم إن الذي علمت ثم لم تعمل به قاطع حجتك ومعذرتك عند ربك إذا لقيته يا صاحب العلم إن الذي أمرت به من طاعة الله ليشغلك عما نهيت عنه من معصية الله يا صاحب العلم لا تكونن قويا في عمل غيرك ضعيفا في عمل نفسك يا صاحب العلم لا يشغلنك الذي لغيرك عن الذي لك يا صاحب العلم جالس العلماء وزاحمهم واستمع منهم ودع منازعتهم يا صاحب العلم عظم العلماء لعلمهم وصغر الجهال لجهلهم ولا تباعدهم وقربهم وعلمهم يا صاحب العلم لا تحدث بحديث في مجلس حتى تفهمه ولا تجب امرأ في قوله حتى تعلم ما قال لك يا صاحب العلم لا تغتر بالله ولا تغتر بالناس فإن الغرة بالله ترك أمره والغرة بالناس اتباع أهوائهم واحذر من الله ما حذرك من نفسه واحذر من الناس فتنتهم يا صاحب العلم إنه لا يكمل ضوء النهار إلا بالشمس كذلك لا تكمل الحكمة إلا بطاعة الله يا صاحب العلم إنه لا يصلح الزرع إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل يا صاحب العلم كل مسافر متزود وسيجد إذا احتاج إلى زاده ما تزود وكذلك سيجد كل عامل إذا احتاج إلى عمله في الآخرة ما عمل في الدنيا يا صاحب العلم إذا أراد الله أن يحضك على عبادته فاعلم أنه إنما أراد أن يبين لك كرامتك عليه فلا تحولن إلى غيره فترجع من كرامته إلى هوانه يا صاحب العلم إنك إن تنقل الحجارة والحديد أهون عليك من أن تحدث من لا يعقل حديثك ومثل الذي يحدث من لا يعقل حديثه كمثل الذي ينادي الميت ويضع المائدة لأهل القبور.

* ورحم الله النَّاظمي إذ يقول :

اعمل بعلمك ، تغنم أيها الرجل *** لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل

والعلم زين ، وتقى الله زينـــته *** والمتقون لهم في علمهم شغل

وحجة الله يا ذا العلم بالـــغـــة *** لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل

تعلم العلم واعمل ما استطعت به *** لا يلهينك عنه اللـــهو والجـــدل

ثالثا- إخلاص طالب العلم

قال بعض السلف : أعز شيئ في الدنيا الإخلاص ، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر.

وكان من دعائهم : اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت فيه ، واستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أف لك به ، واستغفرك مما زعمت أنى أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت .

ولنشرع الآن بالمقصود :

أولاً ــ حقيقة الإخلاص :

بعض الناس يسمع بالإخلاص ، فيظن أنَّ الإخلاص أن يقول : نويت أتعلم لله ، أو مثل ذلك ، وما مثله إلا كمثل رجل جائع ، وأمامه طعام ، وهو يقول : نويت أن آكل . فهل بهذا شبع ؟!! أو مثل رجل عطش فقال : نويت أن أرتوي ، فهل بهذا ارتواء ؟!! لا والله ، بل الإخلاص شيء آخر .

الإخلاص : انبعاث القلب إلى جهة المطلوب التماساً .

وقال بعضهم : الإخلاص تغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله تعالى .

وقيل : الإخلاص سر بين الله وبين العبد ، لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله .

فالإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ، فمتى أفردت ربك بالطاعة ، ونسيت رؤية الخلق بدوام نظرك إلى الخالق ، فقد تحقق لك الإخلاص .

روى الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان برقم (54) فقال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ .

ثانياً ــ لماذا نتعلم ؟ لماذا نتفقه ؟ لماذا نطلب العلم ؟

العلم عبادة من العبادات ، وقربة من القرب ، فإنْ خلصت فيه النية قُبِل وزكا ، ونمت بركته ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع ، وخسرت صفقته .

عند ابن ماجه برقم (253) قال : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا أَبُو كَرِبٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ . [وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6158)].

فهذا الحديث الخطير قاضٍ بأنَّ على طالب العلم أن يصحح نيته في طلبه ، فلا يكون إلا لله وحده ، يبتغي عنده الرضوان ، ويرجو لديه الثواب ، لا ليرتفع به في أعين الناس ، ويعلو به فوق أعناقهم .

ثالثاً ــ كيف يصحح طالب العلم نيته ؟

إذا ما أراد طالب العلم أن يصحح من نيته فعليه ملاحظة ما يلي :

1ـــــ حسن النية :

روى الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان برقم (54) فقال : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ . متفق عليه واللفظ للبخاري .

فالله الله على النية، فرب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية.
وكما قال يحيى بن أبي كثير: تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل .
وإنَّ سر نكبات الأمة الإسلامية في المشرق والمغرب هو عدم إخلاص النية ......
وإليك الدليل العقلي ، فلو صلحت نية طالب العلم عند تلقيه للعلم، وحافظ على سلامتها حتى صار شيخا جليلا تشخص إليه الأبصار، فجهر بالحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وكذلك انتهج بقية العلماء نفس السبيل، فمن أين سيجد السلاطين من يفتي لهم في الدين بما لا يرضي رب العالمين؟!!. فيظهر بذلك الدين، ولا يلتبس أمره على المضلين!!!.
إن النية عبارة عن المحرك والباعث الحقيقي الكامن بين وجدانك، فلا يطلع عليه غيرك.
فمثلا أنت الآن تريد أن تطلب العلم، فما الذي دفعك إلى ذلك؟!! هل لطلب مكانة اجتماعية، هل من أجل أن يقول الناس عنك: هذا طالب علم ممتاز، أم لأجل النجاح في الجامعة، أم من أجل شهادة تعلقها ؟؟؟؟.
قال ابن جماعة : حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به ، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه،والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه ، وعظيم فضله .
قال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد عليَّ من نيتي .
فالنية هي الأصل ، والله الحسيب والرقيب ، مطلع على السرائر والضمائر ، لا تخفي عليه خافية ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الدنيا فيصير بحسن النية من أعمال الآخرة ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة فيصير بسوء النية من أعمال الدنيا فلتحذر .

2 ـــ قصد الآخرة :

ولا يقصد به الأغراض الدنيوية ؛ من تحصيل الرياسة والجاه والمال ، ومباهاة الأقران ، وتعظيم الناس له ، وتصديره في المجالس ونحو ذلك ، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير.
قال أبو يوسف رحمه الله : يا قوم أريدوا بعملكم الله تعالى ، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح .
فعليك أخي في الله أن تخلص نيتك ، وتطهر قلبك من الرياء ، وأن تقصد وجه الله بتوجهك فتكسب خيري الدنيا والآخرة ، و إلا فالخسار والدمار وخراب الديار.

3 ـــ الطاعة : فالعلم رزق لا ينال بالمعصية :

عن أبي أمامة قال : قال صلى الله عليه وسلم : ((إنَّ روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، و لا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته))[أخرجه أبو نعيم في الحلية وصححه الألباني في صحيح الجامع (2085)] .
اعلم أخي في الله أنَّك تطلب الخير من الله ، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته .

4 ـــ احذر الرياء :

قال عبد الله الأنطاكي : من طلب الإخلاص في أعماله الظاهرة ، وهو يلاحظ الخلق بقلبه ، فقد رام المحال ؛ لأنَّ الإخلاص ماء القلب الذي به حياته ، والرياء يميته .

فلا بد إذاً للنجاة في الآخرة ، وللانتفاع بالعلم في الدنيا ، والنفع به ، من الإخلاص ، رزقنا الله وإياكم إياه .

5 ـ احذر النفاق :

احذر أن تكون منافقاً ، وأنت لا تشعر ، مرائياً من حيث لا تعلم ، احذر الشهوة الخفية ،فإنَّ كثيراً من طلاب العلم سقطوا لمَّا غفلوا عن تلك الشهوات الخفية ، وهي عند الله من الكبائر، ولعلها أكبر من الزنى وشرب الخمر ، وهذه الشهوات الخفية تهجم على قلب المتعلم صغيراً كان أو كبيراً ، مشهوراً كان أو مغموراً ، فتفسد عمله ، وتخيِّب قصده ، عافانا الله وإياكم منها. .

إنها شهوة الترفع وحب الظهور ، شهوة كسب الاحترام والتوقير.، شهوة طلب الشهرة وأن يشار إليه بالبنان.، إنها مصيبة اتخاذ العلم وسيلة لنيل غرض من أغراض الدنيا ؛ لبناء الأمجاد الشخصية ، والعلو على الناس ، والاستعظام عليهم ، واحتقار الآخرين وازدرائهم ، وعيبهم والتشنيع عليهم ، شهوة حب التصدر ، وأن ينشغل الناس به ، وينقادوا إليه ، ثم تكون النتيجة : الكبر.، الغرور.، العجب.، الأنانية ، وحب الذات ،.. وعبادة النفس ، والانتصار لها ، والغضب لها ،. وعبادة الهوى .

وهذه ــ والله ــ بليات نعوذ بالله منها ، تسقط بسببها سماء إيمانك على أرضه ، فلا تقوم للقلب قائمة ، ووالله إنَّ القلب ليقشعر من مجرد تعديد هذه الأمراض ، عافانا الله وإياكم منها .

ولعمر الله إنَّ قضية الرياء والشهوة الخفية لهي الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، فشوب النيات يورث الرياء والشرك ، والرياء مدخل النفاق ، والمعصية بريد الفسق ، وهما دهليز الكفر.

6 ـ العمل ... العمل :

لأنه ثمرة العلم النافع، فالعلم إذا لم يصحبه عمل، فهو علم بلا ثمرة، فالنصيحة أن يذهب هذا الطالب لشيء أخر له ثمرة كالتجارة فثمرتها الربح والمال، فلعلها تكون أنفع له من طلب العلم.

ويدخل في العمل ترك جميع المنكرات، وفعل جميع الطاعات..الخ.

7 ـ الصبر :

وأعني بالصبر ، الصبر على كل ما يخدم طلبك للعلم، الصبر على شيخك إذا وجدت منه خلقا لا يعجبك، والصبر على الحفظ إن كان لك وردا وتحافظ عليه، والصبر على قلة الرزق، إن تسبب انشغالك به قلة الوارد المالي .

8 ـ ترك المراء ولو كنت صادقاً :

لأن المماراة لا تنشر العلم ، وإنما تنشر البغضاء والشحناء ، وتورث الكبرياء والغرور، وفي المقابل لا بأس بالمناظرات في الحق والمناقشات البناءة،لأن في المناظرات والمناقشات إظهار للحق وإبطال للباطل كما لايخفى، وتدرب على سبر العلوم ، ولكن !! عند المناظرات تضعف النيات، فانتبه لذلك .

10 ـ عدم الاقتصار على علم واحد في طلب العلم :
لأن طلب العلم مثل الأعداد له بداية وليس له نهاية. لأنك في البداية تحتاج لمفاتيح العلوم، لتسير في درب العلم هاديا مهديا.

11 ـ ترك التعصب :
لا يوجد مانع للوصول إلى الحق مثل التعصب، فمن تعصب لفلان من الناس، أو لجماعة ، أو لمذهب ، أو تيار ، أو شيخ ، أو حاكم ، أو مؤلف ...الخ فاغسل يدك منه، وكبر عليه أربعة ، و ادع الله له بالرحمة فإنه في عداد الأموات، ولن يحيا حتى يدع التعصب إلا للحق، فهو كذلك لا خير في مناقشته قط حتى يدع التعصب .

12 ـ اقتصد فيما يروح النفس :
مما لا شك فيه أن النفس البشرية جبلت على حب المزاح واللعب أحيانا، وهذه لا بأس فيه ، فقد فعله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كما هو مشهور ، ولكن ضابط ذلك إذا جاز الفعل شرعا، ولكن محل النصيحة الاقتصاد في ذلك حتى لا يموت القلب .

13 ـ امسك عليك لسانك :
فطالب العلم معرض للنيل من عرضه ، ومعرض للحوار مع بعض السفهاء أو الجهلة، ومعرض لمشاغبات الأقران والحاسدين، فإن لم يتحلى برباطة الجأش، وقوة القلب، استدرج يمينا وشمالا حتى يتلف ويسقط في هذا المستنقع الوَحِلِ، كما هو مشاهد في كثير من الأحيان .

14–من بركة العلم ان تنسب العلم الى صاحبه وأن تنسب لكل ذي فضل فضله

15–علو الهمة شرط السلوك

"" فالعلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك""

ومن علامات علو الهمة:

1)طلب المعالي من الأمور .

2)الحرص " فاحرص على الطلب فإنَّه من أعظم القُرب .

قال صلى الله عليه وسلم : " احرص على ما ينفعك "[1]

وأعظم ما تحرص عليه وتجود بنفسك لأجله : " طلب العلم " ، والحرص أمارة تعظيم القلب ، ولذلك أنصحك باستفراغ الوسع في " طلب العلم " .

3)بذل الغالي والنفيس .

من خطب الحسناء لم يُغله المهر ، وأنت ـــ تالله ـــ طالب لنعيم الدنيا والآخرة فلا تكلَّ ولا تملَّ فدونك رياحين الجنَّة ، " من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلى الجنَّة "[2]

ومن تمثل سير سلفنا الصالح ، ونظر في معاناتهم في طلب العلم هانت عليه كل شدة ، واحتقر نفسه أمامهم ، فقد كابدوا من الصعاب ما يفوق التخيل ، وتركوا البلاد والأولاد وهجروا اللذات والشهوات ، وجابوا مشارق الأرض ومغاربها سعيًا وراء حديث واحد ، أو لقاء شيخ أو معرفة مسألة

قيل للإمام أحمد : رجلٌ يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير أو يرحل ؟

قال : يرحلُ ، يكتب عن علماء الأمصار ، فيشامُّ النَّاس ، ويتعلم منهم .

وقيل له مرةً : أيرحلُ الرجل في طلب العلم ؟

فقال : بلى والله شديدًا ، لقد كان علقمة بن قيس النخعي ، والأسود بن يزيد النخعي ، ــ وهما من أهل الكوفة بالعراق ــ يبلغهما الحديث عن عمر فلا يقنعهما حتى يخرجا إليه ــ إلى المدينة المنورة ــ فيسمعانه منه "

فهذه وصايا لتحصيل علو الهمة وحصول التوفيق :

1) اشكر نعمة ربك عليك .
2) وصدق الافتقار والدعاء .
3) وملاك الأمر في الصبر ، فصبرًا على شدائد الطلب صبرًا
4) جمع الهمُ:

قال صلى الله عليه وسلم : " من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه ، و جمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همَّه جعل الله فقره بين عينيه ، و فرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له " [3]

فإذا أردت جمع همِّك فيكون رضا الله تعالى هو همُّك ، فلابد لك من انتفاء موانع ذلك ، ممَّا يفسد قلبك ، ويشتت همَّك ، ومدار ذلك على اشتغال النَّفس بالدنيا ، فإذا ألقيتها وصرفت صورتها عن نفسك خلا القلب فيتمكن منه الإخلاص ، اللهم ارزقنا الإخــلاص واجعلنا من أهله .

يبين لك ابن الجوزي هذا فيقول : " ما رأيت مشتتًا للهم ، مبدداً للقلب مثل شيئين :

<u>أحدهما :</u> أن تطاع النفس في طلب كل شيء تشتهيه ، وذلك لا يوقف على حد فيه ، فيُذْهِبَ الدينَ والدنيا ، ولا ينال كل المراد .
مثل أن تكون الهمة في المستحسنات ، أو في جمع المال ، أو في طلب الرياسة ، وما يشبه هذه الأشياء. .
فياله من شتات لا جامع له ، يذهب العمر ولا ينال بعض المراد منه .

<u>والثاني :</u> مخالطة الناس خصوصًا العوام والمشي في الأسواق ، فإنَّ الطبع يتقاضى بالشهوات ، وينسى الرحيل عن الدنيا ، ويحــب الكسل عن الطاعة ، والبطالة والغفلة والراحة ، فيثقل على من ألف مخالطة الناس التشاغل بالعلم أو العبادة ، ولا يزال يخالطهم حتى تهون عليه الغيبة وتضيع الساعات في غير شيء .

فمن أراد اجتماع همه فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت أحد ، فحينئذ يخلو القلب بمعارفه ، ولا تجد النفس رفيقاً مثل الهوى يذكرها ما تشتهي .

16-ماذا نتعلم ؟:

كما ورد في مرجع "منطلقات طالب العلم" جمعه ورتبه فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب

<u>التوحيد أولاً :</u>

التوحيد أو ما نسميه بعلم العقيدة ، وهو فقه الإيمان ، فتصحح إيمانك الذي ستلقى ربك به ، لتعد لأسئلة المــصير جوابًــا حين تسأل من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فتصحح إيمانك ، إذ لا يقبل منك عمل إلا بعد سلامة هذا الإيمان وصحته .

ثانياً : الفقه

وعلم الفقه به تصحح عملك ، فيكون على المتابعة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الله أمر بـأوامر عامـة مجملـة ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفسر هذه الأوامر ، ويفصلها ويبينها ويوضحها .

ثالثاً : أعمال القلوب :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " أما بعد : فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب – التي قد تسمى " المقامات والأحوال " – وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين ، مثل : محبة الله ورسوله ، والتوكل على الله ، وإخلاص الدين له ، والشكر له والـصبر علـى حكمه ، والخوف منه ، والرجاء له ، وما يتبع ذلك .

وتبقى هنا نصيحة مهمة لكل سائر في طريق الطلب ، فإنَّ الفائدة المرجوة من سلوكك هذا السبيل هـو إصـلاحك نفـسك ، فحذار أن تكون كالسراج تضيء لغيرك ، وأنت تحرق نفسك .

يقول ابن قدامة : " فكن أحد رجلين : إمَّا مشغولاً بنفسك ، وإما متفرغًا لغيرك بعد الفراغ من نفسك ، وإياك أن تشتغل بمـا يـصلح غيرك قبل إصلاح نفسك .

واشتغل بإصلاح باطنك ، وتطهيره من الصفات الذميمة ، كالحرص والحسد والرياء والعجب قبل إصلاح ظاهرك.

17–عدم الإفتاء بغير علم

فالله وحده الذي يوجب الشيء، وهو يحرمه، وهو الذي يندب إليه ويحلله، ولقد أنكر الله على من يحللون ويحرمون بـأهوائهم فقال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} [يونس الآية:59] {وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [يونس الآيتان: 59، 60] وقال تعالى: {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَـذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ} {مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِـيمٌ} [النحـل الآيتان: 116، 117] وإن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري ما حكم الله فيه، أو يقـول عـن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه، ويقول عن الـشيء إنه غير واجب هو لا يدري أن الله لم يوجبه، إن هذه جناية وسوء أدب مع الله – عز وجل –.

رابعاً ــ كيف تدخل هذه الأمراض على القلوب ؟

السبب الحقيقي وراء دخول الأمراض ـــ السابقة الذكر ـــ على القلوب هو الداء العضال والمرض الخطير ،ألا وهو الجهل ، نعم فلقد أُتِيَ المعجب من جهله ، ونعوذ بالله من الجهل وأهله .

ويرحم الله علماء السلف فقد كانوا أعلم الناس بأسباب النجاة :

*يقول أبو الحسن الماوردى : " وقلما تجد بالعلم معجباً ، وبما أدرك مفتخراً ، إلا من كان فيه مقلاً مقصراً ؛ لأنه قد يجهل قدره ، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره. ، فأما من كان فيه متوجهاً ، ومنه مستكثراً ، فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن إدراك نهايته ما يصده عن العجب به . [أدب الدنيا والدين ص(81)]

*وقد قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار: فمن نال شبراً منه شمخ بأنفه ، وظن أنَّه ناله ، ومن نال منه الشبر الثاني صغرت إليه نفسه ، وعلم أن لم ينله ، وأما الشبر الثالث فهيهات لا يناله أحداً أبداً .

خامساً ـــ كيف أخلص ؟

*قيل لسهل التستري ــ رحمه الله ــ : أي شيء أشد على النفس ؟!!

قال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب. .

فالنفس تحب الظهور والمدح والرياسة ، وتميل إلى البطالة والكسل ، وزينت لها الشهوات ولذلك قيل : تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال .

*وقال بعضهم : إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز .

*وقال بعضهم لنفسه : اخلصي تتخلصي .

*وقال : طوبى لمن صحت له خطوة لم يرد بها إلا وجه الله .

*كان سفيان الثوري يقول : قالت لي والدتي : يا بُني لا تتعلم العلم إلا إذا نويت العمل به ، وإلا فهو وبال عليك يوم القيامة .

*وقد قيل لذي النون المصري ــ رحمه الله تعالى ــ : متى يعلم العبد أنه من المخلصين ؟

فقال: إذا بذل المجهود في الطاعة ، وأحب سقوط المنزلة عند الناس .

*وقيل ليحيى بن معاذ ــ رحمه الله تعالى ــ : متى يكون العبد مخلصاً ؟

فقال : إذا صار خلقه كخلق الرضيع ، لا يبالي من مدحه أو ذمه .

وأمَّا الزهد في الثناء والمدح ، فيسهله عليك أنه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ، ويضر ذمه ويشين ، إلا الله وحده .

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه ، وفي ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب في مدح مَن كل الزين في مدحه، وكل الشين في ذمه ، ولن يُقدَر على ذلك إلا بالصبر واليقين ، فمتى فقدت الصبر واليقين كنت كمن أراد السفر في البر في غير مركب .

قال تعالى : ((فاصبر إنَّ وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)) [الروم / 60]

وقال تعالى : ((وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون))[السجدة/24]

سادساً ــ معوقات الإخلاص وعلاجها :

1) الطمع : وعلاجه اليأس مما في أيدي الناس ، وتعلق القلب بالله والرغبة فيما عنده .

2) حب المدح : وعلاجه علمك أنَّ الممدوح حقّاً من رضي الله عنه وأحبه ، وإنْ ذمَّه الناس .

وقال آخر : لن يكون العبد من المتقين حتى يستوي عنده المادح والذام .

3) الرياء : فعلى طالب الإخلاص أن يعلم أنَّ الخلق لا ينفعونه ولا يضرونه حقيقة ، فلا يتشاغل بمراعاتهم ، فيتعب نفسه ،ويحبط عمله كله ، ويرتكب سخط الله تعالى ، ويفوت رضاه ، واعلم أنَّ قلب من ترائيه بيد من تعصيه .

4) العجب : وطريقة نفي الإعجاب أن يعلم أنَّ العمل فضل من الله تعالى عليه ، فإنَّ لله ما أخذ ، ولله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فينبغي ألا يعجب بشيء لم يخترعه ، وليس ملكاً له ، ولا هو على يقين من دوامه .

5) احتقار الآخرين واستصغارهم وازدرائهم : وطريقة نفي الاحتقار التأدب بما أدبنا الله تعالى به . قال تعالى : " فلا تزكوا أنفسكم " [النجم/ 32] . وقال تعالى : " إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم" [الحجرات/13] ، فربما كان هذا الذي يراه دونه أتقى لله تعالى ، وأطهر قلباً ، وأخلص نية ، وأزكى عملاً ، ثم إنه لا يعلم ماذا يختم له به .

6)الكبر:الكبر بطر الحق وهو التكبر عليه والامتناع من قبوله كبرا إذا خالف هواه ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل من جاء به وإن كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيرا أو كبيرا وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر....

ومن عواقب الكبر:

1ـ الكبر أول معصية عُصي الله بها:

أصل الأخلاق المذمومة كلِّها الكبر والاستعلاء, به اتَّصف إبليس فحسَد آدم واستكبر وامتنع من الانقياد لأمر ربه، ((وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)) [البقرة:34].

وبه تخلّف الإيمان عن اليهود الذين رأَوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم وعرفوا صحَّة نبوّته، وهو الذي منع ابنَ أبيّ بن سلول من صِدق التسليم، وبه تخلَّف إسلام أبي جهل، وبه استحبَّت قريشٌ العمى على الهدى، قال سبحانه: ((إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)) [الصافات:35]. ودعا سليمانُ عليه السلام بَلقيس وقومَها إلى نبذِ الاستعلاء والإذعان: ((أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)) [النمل:31].

2 ـ الكبر سبب الفرقة والاختلاف والبغضاء :

وبسببه تنوّعت شنائع بني إسرائيل مع أنبيائهم بين تكذيبٍ وتقتيل, ((أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)) [البقرة:87]. وهو من أوصافِ أهلِ النّفاق، ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ)) [المنافقون:5].

3 ـ الكبر سبب تعذيب الأمم السابقة :

وعُذِّبت الأمَم السالفة لاتّصافِهم به, قال تعالى عن قومِ نوح: ((وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَارًا)) [نوح:7]، وقال عن فرعونَ وقومه: ((وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِى الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ ، فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)) [القصص:39، 40]، وقال عن قوم هود: ((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـــآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ)) [فصلت:15].

للكبر أسباب أهمها :

1 ـ المال

2 ـ العلم : وهو شر أنواع الكبر :

وشر الكبر من تكبر على العباد بعلمه وتعاظم في نفسه بفضيلته؛ فإن هذا لم ينفعه علمه؛ فإن من طلب العلم للآخرة كسره علمه، وخشع قلبه، واستكانت نفسه، وكان على نفسه بالمرصاد، فلم يفتر عنها. ومن طلب العلم للفخر والرياسة؛ فهذا من أكبر الكبر، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

قال بعض الحكماء: المتكبر كالصاعد فوق الجبل، يرى الناس صغاراً، ويرونه صغيراً.

3 ـ النسب :

وقد ينشأ الكبر من التباهي بالأنساب ، والتباهي بأسرته الكبيرة ، أو أنه يمت بصلة إلى أسرة معروفة بالجاه أو السلطان أو العلم أو غير ذلك .

4 ـ المنصب :

وقد ينشأ الكبر من منصب يتولاه الإنسان، فيرى نفسه أعلى من الناس طبقة ويحمله الكبر على أن يحب في نفسه أن يقوم الناس له تعظيماً:

ففيما روى الإمام الترمذي في جامعه الصحيح برقم (2755) فقال : عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ صَفْوَانَ حِينَ رَأَوْهُ فَقَالَ اجْلِسَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ "

صفات المتكبر وبعض الأعمال التي تعد من التكبر :

1 ـ العلو على الحق وازدراء من هم أدنى منه :

فالمتكبر يريد أن يعلو على الحق وعلى الله تعالى برد الشرع والدين، ورد آيات الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .. والمتكبر أيضاً يعلو على الناس ويسخر منهم ويحتقرهم ويزدريهم.

وهذه المنازعة قد تسبب العقوبة في الدنيا قبل الآخرة كما جاء في صحيح الإمام البخاري برقم (3485) أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قال : قال النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنْ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) أي هو يغوص فيها والعياذ بالله، والجزاء من جنس العمل .. وكذلك يوم القيامة سيكون جزاء المتكبرين بأن يحشروا وقال صلي الله عليه وسلم ((أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يُساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار: طينة الخبال))رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما .. فهذا جزاء التكبر .. الذل والصغار والإهانة والاحتقار يوم القيامة والعياذ بالله.

2 ــ حسد الأقران :

وأيضاً قــد يؤدي الكبر إلى حسد الأقران بعضهم لبعض وخاصة من أهل العلم والدعاة .. فقد يرى أحدهم أنه أوتي بياناً وفصاحة فهو خطيب مفوه أو أوتي قلماً سيالاً فيقول في نفسه: مالي لا أُتبع، بينما فلان وفلان لهم طلاب وأتباع وكلمتهم مسموعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي،وهى صفة أهل البدع الذين يبتدعون في الدين ليعارضوا به ما ثبت في القرآن والسنة فيشتهروا بين الناس بما يحدثوه في الدين من بدع .

3 ـ ازدراء سنة النبي صلى الله عليه وسلم :

والكــبر هو الذى يحمل بعض الناس على ازدراء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والاستهـزاء بها:

روى الإمام مسلم برقم (2021) فقال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ عَنْ عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ حَدَّثَنِي إِيَاسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ : (كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ لَا أَسْتَطِيعُ قَالَ لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ) .

4 ــ اتباع الهوى :

المتكبِّر متَّبع لهواه، ينظر إلى نفسه بعينِ الكمال وإلى غيره بعينِ النّقص، مطبوعٌ على قلبه: لا يقبَل ما لا يَهوى, ((كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُــلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)) [غافر:35]. والله تعالى يبغضه, ((إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) [لقمان:18].

5 ــ عدم الاعتبار والاتعاظ :

المتَّصف بالكبر مصروفٌ عن الاعتبارِ والاتّعاظ بالعبر والآيات، ((سَأَصْرِفُ عن آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ)) [الأعراف:146]. والمستكبِر عن الحقّ يبتَلى بالانقياد للباطل، وقد تعجَّل له العقوبة في الدنيا, فقد شُلَّت يَدُ رجلٍ في عهدِ النبوة بسبَب الكبر كما سبق الحديث عنه .

وقد خسفتِ الأرض بمتكبِّر,وقد سبق الحديث أيضاً ، وفي الآخرة يعامَل بنقيض قصده, فمن ترفَّع عن النّاس في الدّنيا يطؤه النّاس بأقدامِهم في الآخرة، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: ((يحشَر الجبّارون والمتكبِّرون يومَ القيامة في صوَر الذرِّ يطؤهم النّاس بأرجلهم)) رواه الترمذي، قال في نوادر الأصول: "كلّ من كان أشدَّ تكبّرًا كان أقصرَ قامّةً في الآخرة، وعلى هذا السبيل كلّ من كان أشدَّ تواضعًا لله فهو أشرَف قامَةً على الخلق" .

6 ـ الظن بالنفس أنها خير من غيرها :

فيكون الكبر مستقرًا في قلبه, فهو يرى نفسه خيرًا من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع, فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة إلا أنه قد قطع أغصانها, فهو يرى في نفسه أنه خير من غيره, يرى نفسه أعلى من الناس, يجد هذا الشيء في قلبه, ولكنه لا يتلفظ بموجب هذه الخصلة الذميمة, لا يتحول هذا الشيء الذي في قلبه إلى فعل, إلى قول, وإنما يكتم هذا ويظهر عكس هذا الموجب, يظهر التواضع وخفض الجناح للمؤمنين, فهذا إن كانت شجرة الكبر في قلبه إلا أن أغصان هذه الشجرة لا تنمو فقد قطعها. وأنصح في هذا المقام القراءة في كتاب (تلبيس إبليس) ، ففيه الحديث عن أمثال هؤلاء الشيء الكثير .

7 ـ الترفع في المجالس والتقدم على الأقران :

يظهر ذلك بأفعال كثير من طلبة العلم اليوم الترفع في المجالس والتقدم على الأقران, والإنكار إذا قصر أحد في حقهم, فترى بعضهم يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم, وكذلك الجاهل يعيش دون الناس كأنه مستقذر لهم, وهذان قد جهلا ما أدب الله عز وجل به نبيه صلى الله عليه وسلم, إذ كان هو على رأس العلماء والعباد والزهاد ماذا قال الله تعالى له قال الله عز وجل له: ((واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين)) .

8 ـ تزكية النفس:

يظهر الكبر بلسان كثير من الطلبة غالباً ، كالدعاوى الفارغة والمفاخرة وتزكية النفس على الغير , وحكايات الأفعال في معرض المفاخرة بغيره , وكذلك التكبر بالحسب والنسب, فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك, وإن كان أرفع منه عملاً, وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) رواه مسلم برقم (2699) ، قال ابن عباس رض الله عنهما: يقول الرجل للرجل: أنا أكرم منك, أي أنا أكرم منك حسبًا, أو أكرم منك أبًا, وليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى, قال تعالى: ((إن أكرمكم عند الله أتقاكم)).

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما كان أحد أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإذا رأيناه لا نقوم له لما نعلم من كراهيته لذلك, كان صلى الله عليه وسلم يكره أن يتمثل له الناس قيامًا", فمن الشمائل التي تظهر على الإنسان من جراء الكبر أن يحب أن يتمثل له الناس قيامًا, والسنة أن الإنسان إذا دخل مجلسًا أن لا يتمثل له الناس قيامًا, وإنما القيام عند الاحتفاء به والمعانقة واستقبال صاحب الدار لضيفانه واستقبال الرجل لأبنائه ونحو ذلك.

<u>الدواء والعلاج :</u>

1 ـ تذكر نعمة الله تعالى عليك :

و أن ما بك من النعم هو من الله سبحانه، فواجب عليك شكر المنعم، وعدم نسيانه، فإن شكرت فقد استبقيت النعمة، وإن كفرت وتكبرت فقد استعجلت العقوبة التي تحل بك.

2 ـ اقتد بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

وإنك أخي في الله لن تفلح أبداً حتى تقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم وتتأسى به في حياتك، وهذا يقتضي أن تقرأ سيرته وتتعلم من سننه، عند ذلك ستجد أنه صلى الله عليه وسلم كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم وينطلق مع الأمة حيث شاءت ليشفع لها أو يقضي لها حاجتها وكان يخدم أهله في البيت ويحمل اليهم الحاجة وكان يتواضع للغريب والجاهل وطالب العلم

3 ـ تذكر الآخرة :

وهو العلاج الأهم أن يتذكر طالب العلم الآخرة ومآل الإنسان فيها، فإن كان من المتكبرين فإن مآله النار، وإن كان من الضعفاء المتواضعين فإن مآله الجنة. أخرج مسلم: (2847) في صحيحه سنده عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((احتجت الجنة والنار، فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما أنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وأنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليّ ملؤها)).

فانظر – أخي في الله – إلى أي دار تشتاق وتتمنى. اللهم اجعلنا من أهل الجنان، وسلمنا من النار يا رحمن.

4 ـ اقرأ سير الصالحين وتواضعهم :

وأنصحك في ذلك أن ترجع إلى الكتب الأمهات من أمثال كتاب : (الإصابة في تمييز الصحابة) وكتاب : (سير أعلام النبلاء) وكتاب : (صفة الصفوة) وكتب الحديث والتراجم ففيها الشيء الكثير من إبراز حياة الصالحين من هذه الأمة المرحومة .

5 ـ اترك الهوى :

وتواضع للدّين ولا تعارِضه برأي أو هوًى، ولا تعرِض عن تعلّمه والعمَل به، ومن أسدَى إليك نُصحًا فاقبَله واشكُر قائله، ومن أمرك بمعروفٍ أو نهاك عن منكرٍ فامتثِل لرشده, فالحظوة في التواضعِ للطّاعة.

***يقول الفضيل رحمه الله: "التّواضع أن تخضعَ للحقّ وتنقاد له" .**

***وقال رجل لمالك بن مغول: "اتّق الله"، فوضَع خدّه على الأرض .**

ينسى بعض الناس هذا كله، فيتعاظمون في أنفسهم، ويأخذهم العجب بأجسادهم وألوانهم وامتداد قاماتهم وجمال ثيابهم، فإذا هم يمشون في الأرض مشية الخيلاء المتكبرين، وينظر إلى الناس نظرة احتقار وازدراء، ويظن نفسه خير الناس وهو أرذلهم.

6 ـ اعرف حقيقة النفس :

ولمعرفة حقيقة النفس: أمران اثنان :

أ ـ انظر إلى أول أمرك وإلى وسطه وإلى آخره :

فينظر في أول أمره ((من أي شيء خلقه, من نطفة خلقه فقدره)), فأول أمره نطفة مذرة وآخر أمره جيفة قذرة, ويحمل فيما بين ذلك العذرة, فإذا تفكر الإنسان إلى حقيقة نفسه وجد أن مآله إلى التراب, وأنه حقير, ولا يحسبن الإنسان أنه سيبقى إلى الدوام, ولذلك قال الله عز وجل: ((ثم إذا شاء أنشره)), أي مآله إلى الله تبارك وتعالى, ومن ثم ينظر الإنسان إلى ربه تبارك وتعالى, وذلك بالتفكر في آلاء الله عز وجل وعجائب صنعته, فيتفكر في الجبال والبحار, وفي نفسه كيف خلقه الله عز وجل وصوره إنساناً فمن عرف حقيقة ربه عرف حقيقة نفسه, ومن عرف حقيقة نفسه حقاً عرف حقيقة ربه تبارك وتعالى كما قال بعض العلماء.

ب ـ عارض أسباب الكبر :

بأن يعارض أسباب الكبر, فإن كان سبب كبره الحسب والنسب فلينظر إلى أبيه كيف كان نطفة مذرة, فلينظر إلى أبيه وجده وجد جده, أين هم؟ أليسوا في التراب؟ فلربما من ترابهم صنع ما صنع من البنيان, فكذلك يذهب الإنسان الكبر بسبب الحسب والنسب.

وإذا كان الكبر بسبب الغنى فليتفكر الإنسان أن اليهود من أغنى العالمين, فيا لها من خصلة يسبق فيها الإنسان يهودي, ذمه الله عز وجل, فخصلة الغنى ربما تذهب بين عشية وضحاها, فإذا قدم سارق وسرق ماله أصبح صفر اليدين لا يملك ما يتكبر به.

وإذا تكبر بقوته وعظمته فليتفكر في الأمراض والعلل التي تتنابه, فإذا مرض وإذا أصابته حمى فإنه يصبح هزيلاً ضعيفًا, وإذا تعطل شيء من أعصابه أصبح لا يتحرك, وإذا كان الكبر بسبب العلم فليتفكر وليتنبه بأن للعلم تبعة, وأن الله سبحانه وتعالى يقضي يوم القيامة فيكون أول من يقضى عليه يوم القيامة رجل تعلم العلم ليقال عالم, وقرأ القرآن ليقال قارئ, فيكون أول المسحوبين على وجوههم في نار جهنم, ومن ثم يتفكر أيضًا أن الله سبحانه وتعالى يمقت المتكبرين, وأن الله عز وجل لا يحبهم ولا يوفقهم.

وقد ينسى الإنسان أنه مهما طال جسده وعظم، فإنه لا يستطيع أن يخرق الأرض، ولن يبلغ الجبال طولاً، وأن الشوكة تدميه، والذبابة تؤذيه، والأفعى تخيفه، وأن مصيره إلى الزوال ولو كشف عنه بعد موته لهالنا مرآه وحاله .

وأخرا....أنه مَن حمَل في قلبِه ولو شيئًا يسيرًا مِن الكبر حرُم عليه دخول الجنة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنةَ من في قلبه مثقالُ ذرّة مِن كبر)) رواه البخاري .

والنار دارٌ لهم, ((أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لّلْمُتَكَبّرِينَ)) [الزمر:60].

ويقول عليه الصلاة والسلام: ((ألا أخبركم بأهلِ النّار؟ كلّ عُتُلٍّ جوّاظٍ مستكبرٍ)) متفق عليه

وكما في قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ)) [غافر:60]. ومِن قال صلي الله عليه وسلم: ((الكبر بطرُ الحقّ وغَمط الناس)) رواه مسلم .

ولا تفخر على أحدٍ فدنياك زائلة، يقول عليه الصلاة والسلام: ((حقٌّ على الله أن لا يرتفِع شيءٌ من الدّنيا إلا وضعه)) رواه البخاري .

وفي ختام معوقات الإخلاص.......يجب التنبيه على أنه لا ينبغي لطالب العلم أن ينقطع عن الطلب لعدم خلوص نيته ، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم .

*قيل للإمام أحمد بن حنبل : إن قوماً يكتبون الحديث ، ولا يُرى أثره عليهم ، وليس لهم وقار .

فقال : يؤولون في الحديث إلى خير .

*وقال حبيب بن أبى ثابت : طلبنا هذا العلم ، وما لنا فيه نية ، ثم جاءت النيةُ والعملُ بعد .

فالعبد ينبغي عليه ألا يستسلم ، بل يحاول معالجة نيته ، وإن كانت المعالجة شديدة في أول الأمر.

*يقول سفيان الثورى : ما عالجت شيئاً أشد علىَّ من نيتي

فعلى طالب العلم أن يحسِّن نيته ، ويحرر الإخلاص ، ويجرد التوحيد .

رابعًا- نوايا طالب العلم

1)) أن يطيع الله ورسوله فى طلب العلم كما قال حبيبنا محمد صلي الله عليه وسلم((طلب العلم فريضة علي كل مسلم))

2))أن تكون له وسيلة للتقرب بها من الله عز وجل(من تعلم علمًا يبتغي به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) أخرجـه الإمام أحمد ج 2 ص 338 وأبو داود كتاب العلم باب: طلب العلم لغير الله تعالى. وابن ماجه المقدمة باب: الانتفاع بالعلم والعمل به والحاكم في ((المستدرك)) ج 1 ص 160.

3)) التعلم ورفع الجهل عن طالب العلم نفسه

4))أن ينال الأجر والثواب العظيم لطالب العلم وكما ذكرنا من قبل

----- فله أجر الحاج تامة حجته

----- أن يحصل علي أجر المجاهد

----- ويسلك به طريق إلي الجنة

----- أن تحفه الملائكة وتضع له أجنحتها

----- أن يكون وريث الأنبياء

----- أن يعمل عملا صالحا بعلمه وينال الثواب والأجر كاملا دون أن ينقصه شئ(القرآن حجة لك أو عليك) أخرجه مسلم كتاب الوضوء باب: فضل الوضوء.

----- أن يعرف أمور دينه ويسيرها كما أمرنا ديننا

----- فضل العالم على العابد كفضل السماء علي الأرض

----- نيل فضل أن الله يستخدم عباده العلماء في شهادة الحق يوم القيامة

----- التمسك بدين الله تمسكا صحيحا كما كان عليه رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم وأصحابه ومن إتبعهم بإحسان

وخاصة في هذا العهد عهد الفتن(أنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلأ وأمور تنكرونها وتجيء فتن يدقق بعضًا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه ! فمن أحب أن يزحزح عن الناس ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه .ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقة يديه وثمرة قلبه فليطعمه إن استطاع، فإن جاء آخر فاضربوا عنق الآخر)

----- تنوير القلب بعلوم الله

----- تزكية النفس بالعلم

5))أن يعلم غيره ويدعوه به من منطلق قول صلى الله عليه وسلم"بلغوا عني ولو اية"وقوله صلي الله عليه وسلم "الدال على الخير كفاعله".

(من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه) رواه مسلم كتاب الإمارة باب: الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول . ونصه: عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما

6))دعوة المسلمين وتعليمهم العلم واحتساب الأجر والثواب بكل خير عمله غيرك بالعلم الذي علمته إياه

7))التعلم ونشر الدين للدعوة الى دين الله في بلاد الأعجام أو بداخل الوطن العربي لغير المسلمين ونشر الدين بحسن الخلق لا بالعنف والقسوة(إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمفيهقون) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة باب: ما جاء في معالي الأخلاق والإمام أحمد بلفظ (إن من أحبكم أحسنكم خلقًا) جـ 2 ص 189

8))العمل به وتطبيقه في أعمالنا وأقوالنا ومعاملاتنا مع الأخريين

9))مجالس العلم ومجالسة الصالحين وإتخاذهم أخوة فى الله وإحتساب أجر هذه الأخوة((ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده))

وكذلك نذكر في ان مجالس العلم واجتماع أقوام علي طاعة الله تتيح بالتعرف علي أخوة فى الله وكما قال صلي الله عليه وسلم((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))

10))الحصول علي شهادة أو منصب في الدنيا؛وإن كان هذا المنصب أو هذه الشهادة في الدنيا للحصول علي مافي الدنيا من التعظيم والجاه والمنزلة العالية،فبئس العمل ،وقد خسر هذا العالم دنياه وأخرته

وكما عند ابن ماجه برقم (253) قال : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّارٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَدَّثَنَا أَبُو كَرِبٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ . [وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (6158)].

وروى الإمام الترمذي في جامعه الصحيح برقم (2755) فقال : عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ قَالَ خَرَجَ مُعَاوِيَةُ فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ صَفْوَانَ حِينَ رَأَوْهُ فَقَالَ اجْلِسَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"

وكما قال صلى الله عليه وسلم: " إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت بما علمت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله له بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ; ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ; ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله في ماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك ; يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة" تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم: 1713 في صحيح الجامع

وكما قال صلي الله عليه وسلم :حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا سريج بن النعمان ثنا فليح عن أبي طوالة عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الأنصاري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها" قال الشيخ الألباني : صحيح.

11))إن كان طالب العلم في المسجد

===== وأدرك الصلاة فقد حصل علي ثواب صلاة الجماعة

===== ينوي العتكاف وهذا ما أقره بعض العلماء

=====يأخذ أجر كتاب فى عليين اذا ما مكث فى المسجد من صلاة إلي صلاة دون لغو بينهما؛ قال الشيخ الألباني : حسن سند الحديث : حدثنا أبو توبة ثنا الهيثم بن حميد عن يحيى بن الحرث عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على إثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين".

خامساً ـ كيفية طلب العلم

لطلب العلم وسيلتان أساسيتان:

1 ـ الكتـــاب :

فهو العمود الفقري لكل طالب علم، والوسيلة الأساسية في الطلب.

وللكتاب آداب يجب على طالب العلم الإحاطة بها ، ولعلنا نتحدث عنها في لقاء آخر .

2 ـ الشـــيخ :

وما أدراك ما الشيخ؟!! فهو كالماء البارد للظمآن، وطوق النجاة للغرقان. ولا يصح طلب علم بدونه، وقديما قيل: (من كان شيخه كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه).

غير أنه يمكن لطالب العلم في المراحل المتقدمة أن يعتمد على نفسه في التلقي من الكتاب ؛ لأنه في نظري امتلك مفاتيح العلوم الأساسية، ومن الأفضل لو كان له أحد المشايخ يوده بصورة مستمرة يستشيره ويستوضحه فيما أشكل عليه، والله أعلم.

وينبغي لطالب العلم أن يختار من الشيوخ الأعلم والأورع والأتقى، لأنه كما قال ابن سيرين ومالك وغيرهما: (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم).

ويجب أن نذكر مافي هذه الوسيلة من مميزات عن الأولي

فالاستعانة بالشيخ:

--- تحول دون الفهم الخاطئ

--- وتعيين على فهم العوائق التي قد تقف دون فهم طالب العلم

--- مجلس علم وحضوره وثوابه قال صلي الله عليه وسلم((ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده))

--- أخوة فى الله صالحين يعينوه على طاعة الله ويكونوا له رفيقا تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله؛ **وكما قال صلي الله عليه وسلم:**

((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))وكما قال صلي الله عليه وسلم **(فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا)**

وهناك طرق أخري لطلب العلوم الشرعية أذكر منها:

1-التعليم الالكتروني كما في قراءة والاطلاع على المواقع الإسلامية

2-التعلم من شاشات التلفاز وما بها من برامج دينية وقنوات اسلامية

3-التعلم بالالتحاق في معاهد العلوم الشرعية وخلافها

4- استعمال الشرائط الاسلامية للشيوخ المعروفة

وكلها طرق مشروعة ولكن تستوجب الحذر في مسألة عمن نأخذ علومنا؟ وأن يكون مصدر العلم مصادر ثقات وأن يكونوا علماء يحملون دين الله فوق أعناقهم ولا يخافون فيه لومة لائم وأن يكونوا أقواما يقولون قول الحق لا يخافون بقولهم أو فعلهم إلا الله ولا يتبعون الهوي ويتبعون الله ورسوله والتابعين...واسأل الله العظيم أن يجمع شتات الأمة على كتابه وعلي سنة نبيه محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات والتسليم.

وأخيرا ومهما تحدثنا عن العلم فلن نوفي هذا المجال حقه فهو النور الذي ينير درب السالكين، وأسأل الله أن يجعلنا من طلاب العلم العالمين بما هو العلم والعاملين به وأن يقبلنا ويقبل أعمالنا وأعمالكم ....

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

والسلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته